الأولى والآخرة في القرآن الكريم : دراسة نصية

الدكتور: علاء دسوقي أحمد على

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية
كلية الآداب والفنون - جامعة حائل

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث باللغة العربية :

جاء هذا البحث معنيا بتتبع لفظي" الأولى والآخرة في القرآن الكريم" تتبعا وافيا، مستعينا – بعد توفيق الله – بكتاب " المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي – طيب الله ثراه، وجعل الفردوس مثواه – في معرفة الآيات التي ورد فيها لفظي الأولى والآخرة ، مسترشدا بأقوال المفسرين وغيرهم، مناقشا للآراء، ومتحاورا معها ، ومركزا على دور سياق النص والحال ، ومبرزا دورهما في تحديد المعنى المقصود من هذا اللفظ أو ذاك.

وقد جاء هذا البحث من خلال النقاط الآتية :

أولا: الأولى في النص القرآني :

ثانيا: الآخرة في النص القرآني :

ثالثا: الأولى والآخرة معا في النص القرآني :

ثم جاءت خاتمته متضمنة بعض النتائج التي من أهمها: الدعوة إلى صنع معجم موسوعي لألفاظ القرآن الكريم ، مع أهمية الاستعانة بالسياق المقالي والمقامي في معرفة هذه الألفاظ، واتضح ذلك من خلال هذا التتبع للفظي"الأولى والآخرة".

ملخص اللغة الإنجليزية

This research is concerned with pursuing, in detail, the words, Al Oula and Al Akhera, the “first and afterlife” in Holy Qur’an , using the book, “The Lexicon of the Holy Qur’an Words” by the Skeikh, Mohamed Fouad Abdel Baqy – May Allah Bless his soul and rest him in Paradise-. This is to know the verses where the words “Al Oula and Al Akhera” were mentioned, guided by the sayings of the interpreters and others, discussing views, debating them, concentrating on the role of the internal and external context, and highlighting their role in specifying the intended meaning of this or that word.

The research came through the following points:

First: The word “AlOula” in the verses of the Holy Qur’an

Second: The word “AlAkhera” in the verses of the Holy Qur’an

Last: The words “AlOula” and “AlAkhera” together in the verses of the Holy Qur’an

The conclusion included some results where the most important one was the invitation to the preparation of an encyclopedic lexicon for the words of the Holy Qur’an with the importance of using both the internal and external context to know the meaning of these words. This was evident from the pursuing of the words, “AlOula and AlAkhera”.

توطئة البحث

أفاد النحاة والمفسرون والبلاغيون من السياق، وكانت لهم عناية خاصة به، وقد انتفع علماء التفسير بمبدأ "القرآن يفسر بعضه بعضا" أيما انتفاع؛ فجاءت تفاسيرهم معنية بالسياق، مطبقة له؛ ذلك أن تفسير آياتُ القرآن الكريم يأتي ـ في الغالب ـ بعد الرجوع إلى سياقها الذي وردت فيه، وسياق الآيات الأخرى المشابهة لها؛ كما أن هذا الرجوع يساعدنا في تفسير كلمة غامضة أو مبهمة أو غير واضحة، فيأتي ليزيل عنها هذا الغموض والإبهام والخفاء.

هذا، وقد يتعدد معنى الكلمة والمراد منها وفقا للسياق اللغوي الذي وردت فيه، ومن ذلك لفظا"الأولى والآخرة"، وينبغي على الباحث ـ حينئذ ـ أن ينظر بدقة إلى سياق الآية الذي ورد فيه هذا اللفظ أو ذاك، ويقارنه بشبيهه في سياق آيات أخر، ليتبين له عندها، وليترجَّح لديه وقتَها، معنى محددٌ مقصود يدفع المعاني الأخرى التي لا تسير مع السياق العام للآيات، ويستند هذا البحث على السياق لبيان المدلول المناسب لهذه الألفاظ.

وقد مارس بعض المفسرين نوعا من التفسير السياقي يعرف بـ" الوجوه والنظائر"، يعرِض فيها المفسِّر لمعنى كلمة وردت في السياق القرآني، ووجوه ورودها في آيات متعددة من القرآن الكريم. وهم يعنون بالوجوه: المعاني المتعددة للفظ، وبالنظائر: الألفاظَ المتعددة المعنى[١]، فلفظ" الحق" مثلا يعد من النظائر، ومعانيه المتعددة مثل: الإسلام، والقرآن، والعدل، وغيرها تعد من الوجوه.

ومن أهم الكتب التي عُنيت بذلك" الأشباه والنظائر" لمقاتل (ت: ١٥٠ هـ)، وهو من السابقين في ذلك، كما ذكر ذلك الدكتور: عبد الله شحاته ـ رحمه الله ـ عند عرضه لتحقيق هذا الكتاب القيِّم في فنه، السابق في زمنه، ومن ذلك ـ أيضا ـ كتاب" قاموس القرآن" أو" الوجوه والنظائر" للدامغاني، وغير ذلك من الكتب التي لو استعرضناها لضاقت صفحات البحث عنها.

(١) انظر: علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر:١٤٩، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

ومن الملحوظات التي وردت في بعض الكتب التي عرضت للأشباه والنظائر في القرآن الكريم، وبعض كتب التفسير . أيضا . أن بعض الألفاظ قد فُسِّرَ استنادا على كلمة في سياق الآية دون مراعاة . نوع مراعاة . لما سبق وما لحق منها، أو قد تأتي بعض دلالات هذه الألفاظ غير مستوفاة من خلال سياق آيات أخر وردت فيها، فتأتي . بناء على ذلك . المعاني التى خطوها غير مكتملة، كما أن بعضا منها يعتمد على التخريج وفقا للدلالة اللغوية فقط، أو حسب الروايات التفسيرية، أو المعتقد الكلامي(١).

ومن خلال ما تم رصده من ملحوظات تتضح الحاجة إلى مثل هذا البحث في النص القرآني الكريم. وقد أعانني الله على حصر لفظي "الأولى والآخرة" في القرآن الكريم، وتتبع الآيات التي ورد فيها هذا اللفظ أو ذاك، وذلك من خلال كتاب" المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي . رحمه الله . .

وقد جاءت فكرة هذا البحث . ابتداءً . إثر محاورة مع شيخي وأستاذي الدكتور: تمام حسان . رحمه الله . حول المقصود من: الأولى والآخرة في القرآن الكريم، كما تأكدت لديَّ . كذلك . إثر البحث عنها، فوجدت د. عائشة عبد الرحمن . رحمها الله . قد أشارت إليها في كتابها"التفسير البياني للقرآن الكريم " في الجزء الأول منه، الصفحة: الثامنة والثلاثين؛ حيث عرضت للمقصود بالآخرة والأولى في سورة الضحى، ثم أردفت قائلةً عن الآخرة:" وفي القرآن الكريم وردت الكلمة

(١) انظر: بحثا بعنوان: دراسة نقدية في كتب الوجوه والنظائر، لـ: سيد محمد رضا، وأمين صالح معصومي: ٩ ـ ١٢، آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، السنة الخامسة عشر، العدد الأول، ١٤٣٣ هـ. وهذه الملاحظات . في مجملها . صحيحة، وإن كانت تختلف من كتاب لآخر، وفقا لمنهجية الكتاب وعقلية صاحبه ومعتقده، وإن كان جلُّ المفسرين يعتمد في التخريج على منهج تفسير القرآن بالقرآن، فيقارن بين الآيات القرآنية من ناحية لفظية ومعنوية، وينظر إلى وجوه المشابهة بينها، ويفسر المبهم منها بالواضح، والمجمل منها بالمفصل...

مائة وثلاث عشرة مرة، فيما أحصيت[١]، يغلب أنها للدار أو الحياة الآخرة، مقابلة للدنيا، على أنها قد تأتي لغيرها بدلالة من صريح السياق"[٢]، ثم أوردت من سورة ص:آية:٥، وردت فيها الملة الآخرة، ثم ذكرت أنها تستأنس في فهم قوله تعالى:"وَلَلآخِرَةُ خَير لَّكَ مِنَ ٱلأُولَىٰ" الضحى:٤، بآيات مثلها جاءت فيها الآخرة مقترنة بالأولى بواو العطف، في سورة: النجم:٢٥، والنازعات:٢٥، والقصص:٧٠، والليل"١٣[٣].

وكأنها تشير من خلال ذلك إلى أنها بحاجة إلى دراسة، وأن معناها في هذه الآيات غير مقصود به: الدنيا والآخرة، كما رأت ذلك في آية الضحى:٤. ولم تجرِ ـ رحمها الله ـ الدراسة الوافية للفظي" الأولى والآخرة"، وربما يرجع ذلك لطبيعة كتابها ودراستها، وأن كانت هذه الإشارة منها قوية، واللمحة فيها ذكية، وهذا دعاني إلى المضي قُدُما في هذا البحث؛ حتى استوى على سوقه.

كما وجدتُ بعض المفسرين ـ رحمه الله ـ قد ذكر أن لفظ الأولى في القرآن الكريم قد غلب على حياة الناس في هذه الحياة الدنيا، حيث قال:" والآخرة: مؤنث الآخرِ، والأولى: مؤنث الأول، وغلب لفظ الآخرة في اصطلاح القرآن على الحياة الآخرة وعلى الدار الآخرة، كما غلب لفظ الأولى على حياة الناس التي قبل انخرام هذا العالم"[٤]. والباحث يوافقه على عبارة غلبة استعمال الآخرة في القرآن الكريم على الحياة الآخرة وعلى الدار الآخرة، ولكن ـ كما سيتضح من خلال هذا البحث ـ أن لفظ الأولى لم يغلب استعماله على حياة الناس قبل انخرام هذا العالم، أي: لا يطلق على الحياة الدنيا، بل يتحدد المراد منه ـ كما سيوضح البحث ـ وفقا لسياقه الوارد فيه.

---

(١) أحصى الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي لفظ الآخرة في القرآن الكريم، فوجد أنه ورد مائة وخمس عشرة مرة، وهو أدق في الإحصاء مما أوردته د. عائشة عبد الرحمن، وعليه اعتمدت في بحثي هذا.

(٢) انظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة بنت عبد الرحمن: ج٣٨/١ مكتبة الدراسات الأدبية"٢٥" ، الطبعة الخامسة، دار المعارف، بدون تاريخ.

(٣) انظر: السابق نفسه.

(٤) التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور: ج٣٩٧/٣٠ ، الدار التونسية، تونس،١٩٨٤م

وقد جاء هذا البحث معالجا نقاطا محددة وفق العناوين الآتية:

أولا: الأولى في النص القرآني:

ثانيا: الآخرة في النص القرآني:

ثالثا: الأولى والآخرة معا في النص القرآني :

ثم جاءت خاتمته متضمنة بعض النتائج التي من أهمها: أنه يمكن أن نفيد من ذلك في صنع معجم موسوعي لألفاظ القرآن الكريم، كما اتضح من خلاله ضرورة التأني قبل الحكم على لفظ بأن المراد به كذا أو كذا، قبل التحقق من خلال التتبع الوافي لكل الآيات التي ورد فيها، والاستعانة بسياق النص أو المقالي، مع الرجوع إلى أسباب النزول والسنة النبوية المطهرة.

ويُعَدُّ هذا البحث الذي بين يدي من الدراسات التطبيقية للسياق من خلال النص القرآني مما يجب على الدارسين أن يولُّوا وجوههم وعقولهم شطره. ويمكن أن يُبْنَى عليه في تتبع مفردات القرآن الكريم، من خلال متابعة الآيات التي وردت فيها، وإعطاء تفسير لها مبني على سياقها الواردة فيه.

أولا: الأولى في النص القرآني:

ورد لفظ "الأولى" في القرآن الكريم سبع عشرة مرة[١]، فجاء صفة اثنتي عشرة مرة منها لكل من"سيرتها، القرون (ورد مرتين)، الصحف (ورد مرتين)، الجاهلية، موتتنا (ورد مرتين)، الموتة، عاد، النذر، النشأة ".ويمكن تتبع هذه المواضع من خلال الآتي:

١ ـ ففي قوله تعالى:" قَالَ خُذهَا وَلَا تَخَف سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلأُولَىٰ "طه:٢١، نجد أن المراد هنا: أن العصا سترجع إلى حيث كانت عصا تتوكأ عليها[٢].

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه الشيخ : محمد فؤاد عبد الباقي:١٢١، دار الحديث، القاهرة، ط ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠١م.

(٢) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي:ج٦/٢٢٢ ، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ .١٩٩٣م)،

٢ ـ وفي قوله تعالى:" قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلأُولَىٰ " طه:٥١، نجد أن معنى الآية: أن فرعون قال لموسى: فما بال القرون السالفة، كيف أحاط ربك بهم وبأجزائهم، على الرغم من تمادي كثرتهم، وتباعد أطراف عددهم، فأجابه موسى ـ عليه السلام ـ بأن كل كائن محيط به علمه، وهو مثبت في كتاب، ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان(١).

٣ ـ وفي قوله تعالى:" وَلَقَد ءَاتَينَا مُوسَى ٱلكِتَٰبَ مِن بَعدِ مَآ أَهلَكنَا ٱلقُرُونَ ٱلأُولَىٰ " القصص:٤٣، جاء المعنى: ولقد آتينا موسى التوراة من بعد ما أهلكنا القرون الأولى، مثل: قوم نوح وهود وصالح ولوط، ويقال: لم تهلك قرية بعد نزول التوراة غير القرية التي مسخ الله أهلها قردة(٢).

٤ ـ وفي قوله تعالى:" أَوَ لَم تَأتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلأُولَىٰ " طه:١٣٣، نجد أن المعنى: أنه لما تعنَّت هؤلاء الكفار، وجعلوا ما ظهر من الآيات ليس بآيات، أُجيبوا على هذا التعنت بهذا القول، فالقرآن قد سبق التبشير به، كما سبق التبشير به ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الكتب الإلهية السابقة المنزَّلة على الرسل، وفي هذا الاستفهام توبيخ لهم. وقد جاء تفسير الصحف الأولى في آخر آية من سورة الأعلى، وهي: صحف إبراهيم موسى، في قوله تعالى:" أن هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلأُولَىٰ. صُحُفِ إِبرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ " الأعلى :١٨، ١٩ .

٦ ـ وفي قوله تعالى:" وَلَا تَبَرَّجنَ تَبَرُّجَ ٱلجَٰهِلِيَّةِ ٱلأُولَىٰ"الأحزاب:٣٣، نجد عبارة "الجاهلية الأولى"، وقد عرض المفسرون للمقصود بها، وعرضوا في ذلك أقوالا، منها: أن المقصود بها الزمن الذي وُلِدَ فيه إبراهيم عليه السلام؛ حيث كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال، ومنها: الزمن الذي ما بين آدم ونوح، أو نوح وإدريس، أو موسى وعيسى، أو عيسى ومحمد ـ صلى الله عليهم أجمعين(٣).

---

(١) انظر: البحر المحيط:ج٦/٢٣٣.

(٢) انظر: البحر المحيط:ج٧/١١٥

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي: ج١٧/١٤٢ ـ ١٤٣، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م.

وقد فرَّق الزمخشري بين نوعين من الجاهلية: الأولى والأخرى، وعَنَى بالأولى: جاهلية الكفر قبل الإسلام، وبالأخرى: جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام، فكأن المعنى المقصود من الآية عنده: ولا تُحْدِثْنَ بالتبرج جاهليةً في الإسلام تتشبهن بها بأهل جاهلية الكفر(١).

ومن الأقوال الحسنة الكاشفة عن المراد بالجاهلية الأولى قولُ ابن عطية:" والذي يظهر عندي أنه أشار إلى الجاهلية التي لحقنها، فأمرن بالنُّقلة عن سيرتهن فيها، وهي ما كانت قبل الشرع من سيرة الكفرة؛ لأنهم كانوا لا غيرة عندهم، فكان أمر النساء دون حُجْبةٍ، وجعلها أولى بالإضافة إلى حالة الإسلام، وليس المعنى أن ثَمَّ جاهليةً أخرى، وقد مرّ اسم الجاهلية على تلك المدة التي قبيل الإسلام، فقالوا: جاهلي في الشعراء، وقال ابن عباس في البخاري: سمعت أبي في الجاهلية يقول، إلى غير هذا"(٢).

وقد نقل الإمام القرطبي هذا القول واستحسنه، ولكن ذكر عليه اعتراضا فقال:" هذا قول حسن، ويُعترض بأن العرب كانت أهل قَشَفٍ وضنك في الغالب، وأن التنعم وإظهار الزينة إنما جرى في الأزمان السابقة، وهي المراد بالجاهلية الأولى، وأن المقصود من الآية مخالفة من قبلهن من المشية على تغنيج وتكسير وإظهار المحاسن للرجال، إلى غير ذلك مما لا يجوز شرعا، وذلك يشمل الأقوال كلها ويعمُّها، فيلزمن البيوت، فإن مست الحاجة إلى الخروج فليكن على تبذل وتستر تام"(٣).

---

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله الزمخشري:ج٥/٦٧ ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨ هـ -١٩٩٨م).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي:ج٤/٣٨٤، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠١م. جاء هذا النص نفسه في الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ولكن مع تغير يسير في عبارة: وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كُنَّ عليه... ولفظة وأُوقِع اسم الجاهلية" انظر: الجامع لأحكام القرآن:ج١٧/١٤٢ ،١٤٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ج١٧/ ١٤٣ .

ولا شك أن ما ذهب إليه ابن عطية من تفسير الجاهلية الأولى بالفترة التي قبيل الإسلام ـ رأي له قوته، فليس المعنيُّ بها جاهليةَ عاد وثمود وغيرهما مثلا؛ لأن حدود التبرج فيهما غير معروفة لنساء النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ وإنما المقصود بها الجاهلية التي لحقْنَها، وأُمِرْن بالنُّقْلة عن سيرتهن فيها؛ لأن بعض العرب كانوا لا غيرة عندهم، وكان أمر النساء دون حجاب.

٧ ـ وفي قوله تعالى:" أَفَمَا نَحنُ بِمَيِّتِينَ . إِلَّا مَوتَتَنَا ٱلأُولَىٰ وَمَا نَحنُ بِمُعَذَّبِينَ" الصافات:٥٨، ٥٩، يقول الله تعالى مخبرا عن قول هذا المؤمن الذي أعطاه الله ما أعطاه من كرامته في جنته سرورا بما أعطاه: أفما نحن بميتين غير موتتنا الأولى في الدنيا، وما نحن بمعذبين بعد دخولنا الجنة(١).

٨ ـ وفي قوله تعالى:" إن هِيَ إِلَّا مَوتَتُنَا ٱلأُولَىٰ وَمَا نَحنُ بِمُنشَرِينَ" الدخان:٣٥، يقول الله تعالى مخبرا عن قول مشركي قريش لنبي الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ما هي إلا موتتنا الأولى التي نموتها، وهي الموتة الأولى، فما نحن بمنشرين بعد مماتنا، ولا بمبعوثين تكذيبا منهم بالبعث والثواب والعقاب(٢).

٩ ـ وفي قوله تعالى : " لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلمَوتَ إِلَّا ٱلمَوتَةَ ٱلأُولَىٰ "الدخان :٥٦ ، يكون المعنى : أي لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا(٣).

١٠ ـ وفي قوله تعالى:" وَأنهُ أَهلَكَ عَادًا ٱلأُولَىٰ" النجم:٥٠ قيل: مُيِّزَت عاد الأولى عن قوم كانوا بمكة هم عاد الآخرة، وقيل: الأولى، لبيان تقدمهم، لا لتمييزهم، كما تقول: زيد العالم جاءني،

(١) انظر:جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري: ج ١٩/٥٥٠، ٥٥١، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م

(٢) انظر: المرجع السابق: ج ٢١/٤٨ .

(٣) انظر: المرجع السابق: ج ٢١/٦٧ .

فتصفه لا لتميزه، ولكن لتبين علمه[١]. ويعني . كما يقول المفسرون . بعاد الأولى: عاد بن أرم بن عوص بن سام بن نوح، وهم الذين أهلكهم الله بريح صرصر عاتية، وإياهم عنى بقوله سبحانه:" أَلَم تَرَ كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِرَمَ ذَاتِ ٱلعِمَادِ" الفجر:٦،٧. [٢]، وسُمِّيت بـ" الأولى"؛ لأنها أهلكت قبل عاد الآخرة، وقيل لأنها أول الأمم هلاكا[٣].

١١ ـ وفي قوله تعالى:"وَلَقَد عَلِمتُمُ ٱلنَّشأَةَ ٱلأُولَىٰ فَلَولَا تَذَكَّرُونَ " الواقعة:٦٢، يكون المقصود من الآية: ولقد علمتم النشأة الأولى: أي الإحداثة الأولى التي أحدثناكموها، ولم تكونوا من قبل ذلك شيئا، وبعضهم قال: النشأة الأولى: خلق آدم[٤].

١٢ ـ وفي قوله تعالى:" هَٰذَا نَذِير مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلأُولَىٰ "النجم:٥٦، اختلف أهل التأويل في هذه الآية الكريمة في المراد من المشار إليه؛ لأنه سيترتب عليه تفسير ما سيأتي بعده . إلى أقوال[٥] منها أنه:

أ . محمد – صلى الله عليه وسلم – وهو من جنس النذر الأولى، فالنذير هنا بمعنى المُنْذِر، و" مِن" لبيان الجنس. والمعنى أنه نذير لقومه، كما كانت النذر الذين قبله نذرا لقومهم[٦].

ب . القرآن الكريم، والنذير هنا بمعنى المصدر أو بمعنى اسم الفاعل، وقد رَدَّ الرازي هذا الاختيار لبعده لفظا ومعنى، أما لفظا؛ فلان النذير إن كان كاملا، فما ذكره من حكاية المتقدمين أوْلى؛ لأنه أقرب، وعلى هذا فـ"من" على حقيقة التبعيض، أي: هذا الذي ذكرنا بعض ما جرى، ونُبَذٌ

(١) انظر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب(تفسير الفخر الرازي)، لمحمد الرازي فخر الدين: ج ٢٩ /٢٤، دار الفكر لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ ـ١٩٨١ م

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للأمام الطبري: ج ٢٢/٨٧،٨٦.

(٣) انظر: المرجع السابق: ج ٢٢/٨٨.

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٢٢/٣٤٧، وانظر: البحر المحيط:ج٨/٢١١.

(٥) انظر: تفسير الفخر الرازي : ج ٢٩/٢٦.

(٦) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٢٢/٩٣ ، وقد ذهب إلى هذا أيضا ابن عطية في المحرر الوجيز: ج٥/٢٠٩

مما وَقَعَ، أو تكون لابتداء الغاية. أما ردُّه معنى، فمن ناحية أن القرآن الكريم ليس من جنس الصحف الأولى؛ لأنه معجز، وتلك لم تكن معجزة. ولكي تتناسب مع سياق الآيات الكريمة التي تسعى إلى إثبات أصول ثلاثة مرتبة: الله ووحدانيته، والرسول ورسالته، ثم الحشر والقيامة(١).

ج . ما ذكره من الآيات في أخبار المهلكين، ومعناه حينئذ: هذه بعض الأمور التي هي منذِرة.

هذا، وقد ذكر ابن جرير الطبري رأيا ذهب إليه واختاره، وهو: "هذا الذي أنذرتكم به أيها القوم من الوقائع التي ذكرتُ لكم أني أوقعتها بالأمم قبلكم، من النذر التي أنذرتُها الأممَ قبلكم في صحف إبراهيم وموسى"(٢)، وحجته على هذا الاختيار بأن الله تعالى ذكر ذلك في سياق الآيات التي أخبر عنها أنها في صحف إبراهيم وموسى نذيرٌ من النذر الأولى التي جاءت الأمم قبلكم كما جاءتكم. فـ"هذا" إشارة إلى ما تقدمه من الكلام، وهو أولى وأشبه منه بغير ذلك(٣).

ولنا ملحوظات على ما سبق ذكره:

أ ـ ورد لفظ" الأولى" في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، فجاء صفة اثنتي عشرة مرة منها لكل من "سيرتها، القرون، الصحف، الجاهلية، موتتنا، الموتة، عاد، النذر، النشأة "، فعندما جاء صفة لـ" سيرتها" في سورة طه:٢١،كان المقصود به الهيئة التي كانت عليها العصا قبل تحولها إلى حية تسعى.

ب ـ وعندما جاء صفة لكلمة" القرون" دلَّت على الأمم السابقة، مثل: قوم نوح وهود وصالح ولوط في سورة:القصص:٤٣، وطه:٥١.

إلا أنه فارق هذه الدلالة عندما جاء صفة لكلمة" الجاهلية"، في سورة الأحزاب:٣٣، فليس المعنيُّ بها . هنا . جاهليةَ عاد وثمود وغيرهما؛ لأن حدود التبرج فيهما غير معروفة لنساء النبي .

(١) انظر: تفسير الفخر الرازي: ج ٢٦/٢٩.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٩٣/٢٢.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٩٤/٢٢.

صلي الله عليه وسلم . وإنما المقصود بها الجاهلية التي لحقنها، وأمرن بالنقلة عن سيرتهن فيها، وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة.

ج . كما جاء صفة لكلمة" الصحف" في سورة طه:١٣٣، والأعلى: ١٨، وجاء توضيح هذه الصفة في نهاية سورة الأعلى:١٩.

د . كما ورد لفظ"الأولى" صفة لكلمة" موتتنا" في الصافات:٥٩، والدخان:٣٥، وصفة لـ "الموتة"، في الدخان:٥٦، ويراد بها في: الصافات:٥٩: الموتة التي ذاقوها في الدنيا، عندما جاء ذلك على لسان المؤمن الذي وجد ما وعده الله في الجنة حقا، فقال مستبشرا بالنعيم وديمومته: أن الموت لا يصيبه مرة أخرى، سوى ما ذاقه في الدنيا، وقد ورد تصديق هذا المؤمن في سورة الدخان:٣٥، من أن المتقين في الجنة لا يذوقون الموت فيها سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا، وقد وردت . كذلك . على لسان مشركي قريش عندما قالوا لنبي الله . صلى الله عليه وسلم: ما هي إلا موتتنا الأولى التي نموتها في الدنيا، وما نحن بمنشرين بعد مماتنا، ولا بمبعوثين تكذيبا منهم بالبعث والثواب والعقاب. والفرق بين ما يقوله المؤمن وما يقوله الكافر، أن المؤمن يعتقد أن بعد هذه الموتة حياة أبدية، لا موت فيها، بل هي خلود دائم ونعيم غير زائل، أما الكافر فيعتقد أنه لا حياة بعد هذه الموتة، ولا بعث، ولا نشور، ولا حساب...

هـ . كما جاء لفظ "الأولى" صفة لـ" عاد" مفرقا بينه وبين عاد" الآخرة"، وتعنى" الأولى" هنا . المتقدمة، وهم الذين أهلكهم الله بريح صرصر عاتية، وقيل: سموا بذلك . أيضا . لأنهم أول الأمم هلاكا، وهم من جاء ذكرهم في سورة الفجر:٦، ٧.

و . كما جاء لفظ " الأولى" صفة للنشأة، في سورة: الواقعة:٦٢، سواء عني بها خلق آدم، فهو نشأة أولى للبشرية جميعا، أو كانت نشأة لكل أفراد بني آدم من بعد أبيهم، فهي نشأة أولى، إلحاظا إلى نشأة أخرى بعد الموت، تعم جميع الخلق، ولا تستثني أحدا منهم.

ز . كما جاء لفظ" الأولى" صفة للنذر في سورة: النجم:٥٦، وقد اختلف فيه المفسرون على أقوال، تبعا لاختلافهم في اسم الإشارة قبله، وعلى من يشير إليه، فقد يقصد باسم الإشارة" هذا" إلى

النبي، فينصرف معنى" الأولى" إلى معنى أنه نذير من جنس النذر الأولين، فهو نذير لقومه، كما كأن الأنبياء قبله منذرين لأقوامهم. وقد ينصرف اسم الإشارة" هذا" إلى القرآن الكريم، فيكون النذير بمعنى المصدر، إي: أنذارا، أو إلى: اسم الفاعل، وقد رد بعضهم على هذا القول بأن القرآن الكريم يختلف عن الصحف الأولى؛ لأنه معجز، وتلك لم تكن معجزة، كما أن هذا التأويل لا يتناسب مع سياق الآيات؛ لأن ما ذُكِر من آيات كأن جزءا من الإنذار، فأولى أن ينصرف إلى ما ذُكِر، ولكي تتناسب . كذلك . مع سياق الآيات الكريمة التي تسعى إلى إثبات أصول ثلاثة مرتبة: الله ووحدانيته، والرسول ورسالته، ثم الحشر والقيامة. الرأي الثالث . وهو ما نميل إليه . هنا أن "هذا" يشير ما ذكره من أخبار الهالكين، فيكون المعنى حينئذ: هذه بعض الأخبار، وبعض الأمور التي هي منذِرة، أو تكون إشارة إلى ما تقدم ذكره، وهذا ما يتوافق مع الرأي الثالث.

وبالإضافة إلى المواضع السابقة التي ورد فيها لفظ"الأولى"، مع توضيح المراد منه، فإننا نجد . كذلك . أن لفظ "الأولى" قد جاء في خمسة مواضع مع لفظ الآخرة، في ثلاثة منها جاء معطوفا على لفظ الآخرة، في قوله تعالى:" وَأَن لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ" الليل:١٣، وقوله تعالى:"فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَى" النجم: ٢٥، وقوله تعالى:"فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ"النازعات:٢٥، وجاء في موضع رابع معطوفا عليه لفظ الآخرة في قوله تعالى:" وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِ " القصص:٧٠، وأتى . كذلك . وهذا هو الموضع الخامس . مع الآخرة، ومجرورا بحر الجر "من" في قوله تعالى:"وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡر لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ" الضحى:٤.

ثانيا: الآخرة في النص القرآني:

الآخرة: مؤنث الآخِر، وغلب استعمال لفظ الآخرة في اصطلاح القرآن الكريم على الحياة الآخرة، وعلى الدار الآخرة[١] ،

(١) انظر: التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ج٣٠/٣٩٧ .

وهي ما يقابل الحياة الدنيا [١].

(١) ورد لفظ"الدنيا" في القرآن الكريم مائة وخمس عشرة مرة (انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي:٣٢٢ .٣٢٤). وقد جاء مفردا ستا وثلاثين مرة في سور:البقرة:١١٤، ١٣٠، ٢٠٠، ٢٠١، ٢١٧، ٢٢٠ ، وآل عمران:٢٢، ٤٥، ٥٦، ١٥٢، والمائدة:٣٣، ٤١، والأعراف:١٥٦، والتوبة: ٦٩، ٧٤، ٨٥، ويونس:٧٠، وهود:٦٠، ويوسف:١٠١، والنحل:٣٠، ٤١، ١٢٢، والحج:٩، ١١، ١٥، والنور:١٤، ١٩، ٢٣، القصص:٤٢، ٧٧، والعنكبوت:٢٧، ولقمان:١٥، والأحزاب:٥٧، والزمر:١٠، وغافر:٤٣، والحشر:٣. وجاء مضافا إليه ثماني مرات، مثل:"متاع الدنيا، عرض الدنيا، حرث الدنيا، ثواب الدنيا" وذلك في سور: آل عمران:١٤٥، ١٤٨، والنساء:٧٧، ١٣٤ (ورد مرتين)، والأنفال:٦٧، والمؤمنون: ٣٣، والشورى:٢٠. كما أتى صفة لما قبله إحدى وسبعين مرة، كما في" الحياة الدنيا، متاع الحياة الدنيا، حياتنا الدنيا، زينة الحياة الدنيا، زهرة الحياة الدنيا، عرض الحياة الدنيا"، وذلك في سور: البقرة:٨٥، ٨٦، ٢٠٤، ٢١٢، وآل عمران:١٤، ١١٧، ١٨٥، والنساء:٧٤، ٩٤، ١٠٩، والأنعام:٢٩، ٣٢، ٧٠، ١٣٠، والأعراف:٣٢، ٥١، ١٥٢، والأنفال:٤٢، والتوبة:٣٨(وردت مرتين في هذه الآية)، ٥٥، ويونس:٧، ٢٣، ٢٤، ٦٤، ٨٨، ٩٨، وهود:١٥، والرعد:٢٦ (وردت مرتين في هذه الآية) ، ٣٤، وإبراهيم:٣، ٢٧، والنحل:١٠٧، والكهف:٢٨، ٤٥،٤٦، ١٠٤، وطه: ٧٢، ١٣١، والمؤمنون: ٣٧، والنور: ٣٣، والقصص:٦٠، ٦١، ٧٩، والعنكبوت: ٢٥، ٦٤، والروم:٧، ولقمان:٣٣، والأحزاب:٢٨، وفاطر:٥، والصافات: ٦، والزمر: ٢٦، وغافر:٣٩، ٥١، وفصلت: ١٢، ١٦، ٣١، والشورى:٣٦، والزخرف: ٣٢، ٣٥، والجاثية:٢٤، ٣٥، والأحقاف:٢٠، ومحمد:٣٦، والنجم: ٢٩، والحديد:٢٠(وردت مرتين في هذه الآية)، والملك:٥، والنازعات:٣٨، والأعلى:١٦.

وقد جاء لفظ "الدنيا" دالا على الحياة التي نعيشها قبل الموت في معظم آيات القرآن الكريم التي ورد فيها، سواء أكان مفردا، أم مضافا إليه، أم صفة لما قبله. وجاء مفارقا لهذه الدلالة في بعض الآيات، عندما جاء صفة لاسم سابق، مثل"السماء" كما في قوله تعالى:" إنا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنيَا بِزِينَةٍ ٱلكَوَاكِبِ" الصافات:٦، والمراد بالسماء الدنيا، أي: القربى منكم، إشارة إلى أن" الدنيا" مؤنث " الأدنى"، بمعنى: الأقرب(انظر: حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي:ج٧/٢٦٠، دار صادر، بيروت)، ويكون المعنى: أي زينا السماء الدنيا التي تليكم، وهي الدنيا إليكم، زينَّاها بالكواكب، حفظا لها بهذه الزينة، أي: زيناها حفظا لها، أو حفظا من كل شيطان مارد(انظر:جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: ج ٢٩/٤٩٧ . ٤٩٨)، وقد خصَّ السماء الدنيا بالذكر؛ لأنها التي تُشاهَد بالأبصار، والحفظ من الشياطين، إنما هو فيها وحدها(انظر: البحر=

وقد ورد لفظ"الآخرة" في القرآن الكريم مائة وخمس عشرة مرة[١]، سواء أكان مفردا، وقد ورد ستا وثمانين مرة[٢]، ومن ذلك قوله تعالى:" أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيسَ لَهُم فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ " هود:١٦، ومن ذلك قوله تعالى : " مَن كَان يَظُنُّ أن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَليَمدُد بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ ليَقطَع فَلينظُر هَل يُذهِبَنَّ كَيدُهُ مَا يَغِيظُ"الحج:١٥، والمعنى إن الله ينصر نبيه محمدا . صلى الله عليه وسلم . في الدنيا بإعلاء كلمته وإظهار دينه، وفي الآخرة بإعلاء درجته، والانتقام ممن

= المحيط، لأبي حيان الأندلسي:ج٧/٣٣٨)، ومثلها في ذلك قوله تعالى:"وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفظا "فصلت: ١٢، وقوله تعالى:"وَلَقَد زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنيَا بِمَصَٰبِيحَ " الملك:٥.كما جاء لفظ"الدنيا"صفة للعدوة في قوله تعالى:" إِذ أَنتُم بِٱلعُدوَةِ ٱلدُّنيَا وَهُم بِٱلعُدوَةِ ٱلقُصوَىٰ وَٱلرَّكبُ أسفل مِنكُم" الأنفال:٤٢، وقد جاءت هذه الصفة في موقعها محددة للموقع الجغرافي الذي حدثت فيه الغزوة، فالمسلمون بقيادة الرسول . صلى الله عليه وسلم . بالعدوة الدنيا مما يلي المدينة، والمشركون من كفار قريش بالعدوة القصوى مما يلي مكة، والركب الأربعون الذي كانوا يقودون العير في مكان أسفل من المسلمين بالساحل(انظر: البحر المحيط: ٤ / ٥٠٠)، ومبينة . كذلك . ما عليه المشركون من المكان المناسب والقوة والعتاد الجاهز، وما عليه المسلمون من المكان الذي لا ماء فيه مع الضعف والقلة في العدة والعتاد؛ وذلك كله لاستحضار قدرة الله وحوله وقوته . دائما . وأن منه وحده النصر، وأن كل شيء عنده بمقدار؛ لأنه سميع بكم وبهم فلا يخفى عليه شيء، وعليم بتدبير الأمور فيعلم ما ينصركم به، وما يخذل به عدوكم(انظر: الكشاف، للزمخشري: ج٢/٥٨٤ .٥٨٥).

(١) انظر: المعجم المفهرس:٢٧ . ٢٩ .

(٢) ورد مفردا في سور: البقرة، آية:٨٦،٤، ١٠٢، ١١٤، ١٣٠، ٢٠٠، ٢٠١، ٢١٧، ٢٢٠، وآل عمران:٢٢، ٤٥، ٥٦، ٧٧، ٨٥، ١٥٢، ١٧٦، والنساء:٧٤، ٧٧، والمائدة:٥، ٣٣، ٤١، والأنعام:٩٢، ١١٣، ١٥٠، والأعراف:٤٥، ١٥٦، والأنفال:٦٧، والتوبة: ٣٨ (وردت مرتين في هذه الآية)، ٦٩، ٧٤، ويونس:٦٤، وهود:١٦، ١٩، ٢٢، ويوسف:٣٧، ١٠١، والرعد:٢٦، وإبراهيم:٣،٢٧ ، والنحل:٢٢، ٦٠، ١٠٧، ١٠٩، ١٢٢، والإسراء:١٠، ١٩، ٢١، ٤٥، ٧٢، والحج:١١، ١٥، والمؤمنون:٧٤، النور:١٤، ١٩، ٢٣، والنمل:٣، ٤، ٥، ٦٦، والقصص:٧٠، والعنكبوت:٢٧، والروم:٧، ولقمان: ٤، والأحزاب:٥٧، وسبأ:١، ٨، ٢١، والزمر:٩، ٤٥، وغافر:٣٩، ٤٣، وفصلت:٧، ٣١ ، والشورى:٢٠، والزخرف:٣٥، والنجم:٢٥، ٢٧، والحديد:٢٠، و الحشر:٣، والممتحنة: ١٣، والمدثر:٥٣، والقيامة:٢١، والأعلى:١٧، والليل:١٣، والضحى:٤.

كذبه[١]، ونحو قوله تعالى:"وَلَولَا فَضلُ ٱللَّهِ عَلَيكُم وَرَحمَتُهُۥفِي ٱلدُّنيَا وَٱلأٓخِرَةِ لَمَسَّكُم فِي مَآ أَفَضتُم فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" النور:١٤، والمعنى: ولولا فضل الله، أي: في الدنيا بالنعم التي منها الإهمال للتوبة، و"رحمته" عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة، "لمسكم" العذاب فيما خضتم فيه من حديث الإفك[٢]، أم مضافا إليه، وقد ورد عشرين مرة[٣]، مثل"حسن ثواب، دار، عذاب، لأجر، وعد، لعذاب، لقاء، جزاء" الآخرة. ومن ذلك قوله تعالى:"وَلَأَجرُ ٱلأٓخِرَةِ أَكبَرُ " النحل:٤١، أم جاء صفة لما قبله، وقد ورد تسع مرات[٤]، ومن ذلك قوله تعالى :"وَلَلدَّارُ ٱلأٓخِرَةُ خَير لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ" الأنعام:٣٢.

هذا، وقد أورد مقاتل بن سليمان البلخي ـ وتابعه الدامغاني[٥] – رحمهما الله – خمسة أوجه لـ" أ خ ر":

(١) انظر:البحر المحيط: ج٦/٣٣٢، وانظر: الكشاف: ج٤/١٨١،١٨٠، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي:ج٥/ ٥٢ . ٥٥، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ.

(٢) انظر:البحر المحيط ج٦/٤٠٢.

(٣) جاء مضافا إليه في سور:آل عمران:١٤٥، ١٤٨، والنساء:١٣٤، والأعراف:١٤٧، وهود:١٠٣، ويوسف:٥٧، ١٠٩، والرعد:٣٤، والنحل:٣٠، ٤١، والإسراء:٧، ١٠٤، وطه: ١٢٧، والمؤمنون: ٣٣، والروم: ١٦، والزمر: ٢٦، وفصلت: ١٦، والشورى:٢٠، والقلم:٣٣، والنازعات:٢٥.

(٤) جاء صفة في سور: البقرة:٩٤، والأنعام:٣٢، والأعراف:١٦٩، والقصص:٧٧، ٨٣، والعنكبوت:٢٠، ٦٤، والأحزاب:٢٩، وص:٧.

(٥) قاموس القرآن قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، للفقيه المفسر الجامع الحسين بن محمد الدامغاني :٢٣ . ٢٤ ، حققه: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، ١٩٨٥م. وقد نص الدامغاني على أخذه من مقاتل بن سليمان، لأنه قد وجد أنه أغفل أحرفا من القرآن لها وجوه كثير لم يوردها، فزاد عليه فيها، انظر: قاموس القرآن:١١، ولكن نلحظ أنه عند إيراده للفظ " الآخرة" ووجوهه لم يخالف مقاتلا، بل يكاد الكلام يكون واحدا. انظر المقارنة بينهما في قاموس القرآن:٢٣ . ٢٤، والأشباه والنظائر في القرآن الكريم :٣٠٢ . ٣٠٣ .

الأول: الآخرة بمعنى القيامة، ومن ذلك قوله تعالى:" وَأَن ٱلَّذِينَ لَا يُؤمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ " المؤمنون: ٧٤، يعني: البعث بعد الموت، ومن ذلك قوله سبحانه:" وَأن لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ" الليل:١٣، يعنى: الدنيا والآخرة.

الثاني: الآخرة بمعنى الجنة، وذلك في قوله تعالى:" وَلَقَد عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن خَلَٰقٍ " البقرة:١٠٢يعنى: في الجنة من نصيب، ومن ذلك قوله:"وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ" الزخرف:٣٥، وفي قوله تعالى:" تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادا " القصص:٨٣، أي: الجنة، ونحو قوله تعالى:" وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٖ" الشورى:٢٠، يعني: الجنة.

الثالث: الآخرة بمعنى جهنم خاصة، وذلك في قوله تعالى:"سَاجِدا وَقَآئِما يَحذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ " الزمر: ٩ يعني: النار.

الرابع: الآخرة بمعنى القبر، وذلك في قوله تعالى :" يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَولِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ " إبراهيم: ٢٧، يعنى: وفي القبر حين يسألهم منكر ونكير.

الخامس: الآخرة بمعنى الأخيرة، وذلك في قوله تعالى:" مَا سَمِعنَا بِهَٰذَا فِي ٱلمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ" ص:٧ يعني: الملة الأخيرة، وهي ملة عيسى، وكانت آخر الملل بعد الأمم قبل النبي . صلى الله عليه وسلم، ونحو قوله تعالى:"فَإِذَا جَآءَ وَعدُ ٱلۡأٓخِرَةِ " الإسراء:٧، يعني: الوعد الأخير من العذابين الذي وعد به بني إسرائيل(١).

(١) بتصرف يسير من كتاب" الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخي:٣٠٢ .٣٠٣، دراسة وتحقيق الدكتور: عبد الله شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ . ١٩٩٤م.

وذكر ابن الجوزي هذه الوجوه، وقسَّم الوجه الخامس منها إلى وجهين: وهما: ملة عيسي . عليه السلام، والمرة الأخيرة من إهلاك بني إسرائيل، ولا يكاد يختلف ما قاله ابن الجوزي عما قاله مقاتل، واستشهد بالآيات نفسها التي ذكرها، وذكر أن أهل التفسير يرون ذلك(١).

هذا، وقد ذكر الدكتور: أحمد مختار عمر . رحمه الله . أن لفظة الآخرة جاءت بمعان ثلاثة(٢):

١ . **مؤنث الآخِر** في قوله تعالى:" لَهُ ٱلحَمدُ فِي ٱلأُولَىٰ وَٱلأٓخِرَةِ " القصص:٧٠

٢ . **يوم القيامة** في قوله تعالى:"مَّن كَان يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنيَا وَٱلأٓخِرَةِ " النساء:١٣٤

٣ . **الجنة** في قوله تعالى:" وَٱلأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلمُتَّقِينَ" الزخرف:٣٥.

ولنا عدة ملحوظات على ما ورد من خلال تتبع لفظة الآخرة . سواء قديما أو حديثا . نلخصها فيما يأتي:

أ . عدم التتبع الوافي والكافي للفظ" الآخرة" في القرآن الكريم؛ حتى يتضح المراد منه في كل سياق، ويظهر المقصود منه دون المعاني الأخرى.

ب . الاشتراك في بعض المعاني التي ساقها مقاتل . ووافقه في ذلك الدامغاني . مع ما ذكره د. مختار، وإن كان مقاتل ذكر معاني أخرى له، كالنار، والقبر، والأخيرة.

ج . الاعتماد على المعنى اللغوي في بعض ما ذُكِر، كتفسيرهم الملة الآخرة بالأخيرة، والمراد بها . هنا . ملة عيسى . عليه السلام . وكذلك "وعد الآخرة" الذي ورد في سورة الإسراء، ومعناه: المرة

(١) انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر:١٤٩ .١٥١، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤ م

(٢) انظر: الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم، دراسة إحصائية د. أحمد مختار عمر:١٨، عالم الكتب، الطبعة الأولى ،١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٣ م.

الأخيرة من إهلاك بني إسرائيل، وما ذكره د. مختار في المعنى الأول من المراد من الآخرة، حيث جعله مؤنث الآخِر.

د . اعتمدوا . كذلك . في بعض ما ذكروه على التعبير بالكل، والمراد به الجزء، وهذا نلاحظه عند ذكرهم المقصود من الآخرة: الجنة، النار، القبر.

ولا ريب في أن الجنة والنار هما منتهى الفريقين: فريق أهل الإيمان، وفريق أهل الكفر، كما في قوله تعالى:" فَرِيق فِي ٱلجَنَّةِ وَفَرِيق فِي ٱلسَّعِيرِ "الشورى:٧، كما أن تفسير الآخرة بالقبر . في سورة إبراهيم:٢٧ . لأنه أوَّلُ منازلها، كما أن هذا التفسير جاء موافقا لحديث البراء بن عازب، أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال :" المسلم إذا سُئِلَ في القبر يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله سبحانه:" يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلقَولِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلحَيَوٰةِ ٱلدُّنيَا وَفِي ٱلأَخِرَةِ " إبراهيم: ٢٧[١]. وبعضهم جعل التثبيت في الدنيا، أي في القبر؛ لأن الموتى في الدنيا إلى أن يبعثوا، وفي الآخرة، أي: عند الحساب[٢]. ولا شك أن الآية تنصُّ على تثبيت الله للمؤمنين، وهذا يحصل بالإيمان والعمل الصالح في حياتهم التي يعيشونها، حتى يُختَمَ لهم بكلمة التوحيد عند خروجهم من الدنيا، ويثبتهم . كذلك . في القبر، وهو أول منازل الآخرة، وهم يحتاجون إلى الثبات في كل مراحل الآخرة بعد ذلك، من حشر ونشر وسؤال وعبور على الصراط... حتى يدخلوا الجنة بعد ذلك، ولهذا فإن تحديد فترة التثبيت في فترة دون أخرى، لا دليل عليه؛ إذ الآية جاءت بالفعل المضارع، لتدل على تجدد هذا التثبيت، وأن جاء نص الحديث على تثبيتهم في القبر، فلأن التثبيت فيه منبئٌ عن تثبيتهم فيما بعد فيما هو أشد في عرصات الآخرة، والله أعلم.

---

(١) انظر الجامع الصحيح، للإمام البخاري:١٣٦٩،٤٦٩٩، دار الشعب،القاهرة، ١٣٧٨ هـ،وصحيح مسلم: ٢٨٧١ ، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي بمصر ، ١٩٥٥م.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم:ج١٢ /١٤٠، وانظر: آراء المفسرين الموسعة في تفسير هذه الآية في: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي: ج٨/٥٢٠ . ٥٤٦ ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط١، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣م.

هـ . من المعاني التي أوردها مقاتل . ومثله في ذلك الدامغاني ود. مختار .: أن المقصود بالآخرة: الجنة، ومما استدل به قوله" تلك الدار الآخرة"، فهل المقصود بها الجنة، أو المقصود بها كل نعيم الدار الآخرة. ويمكن أن يندرج تحت هذه الملاحظة . كذلك . الحذر من الآخرة، فهل المقصود الحذر من النار وحدها، أو الحذر من الآخرة كلها بما فيها من أخطار وأهوال وطوام ؟! وهل الدلالة تكون وافية عندما نحددها بالجنة أو النار حسب سياق الآية، أو تكون مقيدة للآية والدلالة المرادة منها؟؟

يقول الفخر الرازي:" يحذر الآخرة تدخل فيه الحياة الآخرة سواء كانت في القبر أو في القيامة"(١). وأظن أن التقييد بالجنة والنار فقط دون إجراء اللفظ على عمومه، خاصة في مثل هذه الآيات، يذهب بجزء من دلالته؛ فليست الجنة وحدها للمتقين، وإن كانت هي نهاية المطاف لهم، وإلا، فأين الرضا من الله والرؤية له؟! وفي الآية الكريمة:"لِّلَّذِينَ أَحسَنُواْ ٱلحُسنَىٰ وَزِيَادَة وَلَا يَرهَقُ وُجُوهَهُم قَتَر وَلَا ذِلَّةٌ "يونس: ٢٦ .

كما أن الحذر من الآخرة ليس حذرا من النار وحدها . وأن كانت من أعظم ما يُحْذر، ونهاية مطاف الكافرين ـ وإلا، فأين أهوال القيامة جميعها، وأين سخط ربك على الكافرين؟! ويمكن أن نلمح هذا المعنى الدقيق من الحديث النبوي الذي ذكر أعظم ما في الآخرة، وهو الرضا، وأعظم ما يُحذَر منها، وهو السخط؛ حيث جاء في الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . :" أن اللَّهَ . تَبَارَكَ وَتعالى . يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أنا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رضواني، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا"(٢).

(١) انظر: الفخر الرازي:ج٤٢/٢٧.

(٢) الجامع الصحيح ، للإمام البخاري: ٦٥٤٩ .

و . من المعاني التي ساقها د. مختار ـ رحمه الله ـ للآخرة: يوم القيامة، وقد استدل على ذلك بقوله تعالى:"مَّن كَان يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنيَا وَٱلأَخِرَةِ " النساء:١٣٤، وأظنَّ أن المعنى يستقيم لو جعلنا المقصود من "ثواب الآخرة" هو" ثواب الجنة" بدلا من" ثواب يوم القيامة"؛ ولذا كان الأولى أن يدخل هذا المعنى الثاني الذي ذكره في المعنى الثالث عنده، لا أن يكون مستقلا، أو أن يأتي بآية أخرى تكون أوضح في الاستدلال وأقوى.

ز . وفي قوله تعالى:"فَإِذَا جَآءَ وَعدُ ٱلأَخِرَةِ لِيَسُئواْ وُجُوهَكُم وَلِيَدخُلُواْ ٱلمَسجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّة وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَواْ تَتبِيرًا "الإسراء:٧، نجد أن المقصود بـ" وعد الآخرة"، أي المرة الآخرة في إفسادكم وعلوكم، والجواب محذوف تقديره: بعثنا عليكم[١]، والدليل على المحذوف قوله تعالى:" فَإِذَا جَآءَ وَعدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثنَا عَلَيكُم عِبَادا لَّنَآ أُوْلِي بَأس شَدِيد"الإسراء:٥ [٢]. أما في قوله تعالى في آخر الإسراء: " فَإِذَا جَآءَ وَعدُ ٱلأَخِرَةِ جِئنَا بِكُم لَفِيفا " الإسراء: ١٠٤، فالمقصود بها قيام الساعة[٣]، أو قرب قيامها . وهذا هو الراجح . كما يدل على ذلك سياق نص الآية نفسها.

ثالثا: الأولى والآخرة معا في النص القرآني :

أدى اقتران لفظ الأولى بالآخرة في سياق بعض الآيات، وهي خمس آيات، وهي سور: القصص:٧٠، والنجم: ٢٥، والنازعات:٢٥، والليل:١٣، والضحى:٤ ـ أدى ذلك إلى جعل بعض المفسرين يذهب إلى أن المقصود بالأولى في هذه الآيات هو الدنيا، وليس شيئا آخر، وأن المقصود بالآخرة هو الدار الآخرة.

نعم، قد يكون هذا مقبولا عند اقتران الدنيا بالآخرة، ولكن يجب علينا أن نقف طويلا أمام المراد من الأولى والآخرة إذا جاءا في نفس السياق؛ لنعرف المراد، ونحدد المقصود، ويمكن أن نعالج هذه النقطة من خلال الآتي:

---

(١) انظر:البحر المحيط ج٦/١٠.

(٢) انظر:أضواء البيان:ج٣/٤٨٤.

(٣) انظر:البحر المحيط ج٦/٨٤.

١ . في قوله تعالى:" فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ " النازعات:٢٥ ، اختلف المفسرون في الأولى والآخرة على رأيين:

أ. أنهما الدنيا والآخرة، وقد اختار ذلك ابن كثير(١). واختار الزمخشري القول بالإغراق في الدنيا، والإحراق في الآخرة(٢)، يعني أن المقصود بهما: الدنيا والآخرة.

ب . أنهما الكلمتان العظيمتان اللتان تكلم بهما فرعون في قوله:" ما علمت لكم من إله غيري"، والثانية" أنا ربكم الأعلى"، وكان بينهما أربعون سنة كما قال ابن عباس . رضي الله عنهما . وقد اختار هذا الرأي ابن جرير الطبري، ومعه كثير من المفسرين(٣).

وقد ردّ بعضهم على اختيار ابن جرير الطبري بأن الله . تعالى . جعل أخذه نكالا، ليعتبر به من يخشى، والعبرة تكون أشد بالمحسوس، وكلمتاه قيلتا في زمنه.

وذهب الإمام الشنقيطي إلى ما قاله ابن كثير، ووضَّح أن القرآن الكريم يشهد لما قاله في قوله تعالى:" فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ "يونس:٩٢، وهذا هو محل الاعتبار. وقد قال الله بعد آية النازعات:" إِن فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ" النازعات:٢٦(٤)، واسم الإشارة في قوله:"أن في ذلك" راجعٌ إلى الأخذ والنكال المذكورين، أي المصدر المفهوم ضمنا في قوله تعالى:" فأخذه الله"، وقوله: "نكال"، بل أن نكال مصدر بنفسه، أي: فأخذه الله ونكَّل به، وجعل نكاله به عبرة لمن يخشى(٥).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ج٢٤٢/١٤، تحقيق مصطفى السيد وآخرين، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.٢٠٠٠م.

(٢) انظر: الكشاف:ج ٣٠٨/٦.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري: ج٨٣/٢٤ . ٨٨، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.٢٠٠١م. وقد ذكر ابن جرير الطبري آراء أخرى.

(٤) انظر: أضواء البيان: ج٣٠/٩

(٥) انظر: أضواء البيان: ج٣١/٩.

وقدم هنا نكال الآخرة على الأولى؛ لأنه" أشد وأبقى، فهو النكال الحقيقي الذي يأخذ الطغاة والعصاة بشدته وبخلوده؛ ولأنه الأنسب في هذا السياق الذي يتحدث عن الآخرة ويجعلها موضوعه الرئيسي؛ ولأنه يتسق لفظياً مع الإيقاع الموسيقي في القافية بعد اتساقه معنوياً مع الموضوع الرئيسي، ومع الحقيقة الأصيلة. ونكال الأولى كان عنيفاً قاسيًا، فكيف بنكال الآخرة وهو أشد وأنكى؟ وفرعون كان ذا قوة وسلطان ومجد موروث عريق؛ فكيف بغيره من المكذبين؟ وكيف بهؤلاء الذين يواجهون الدعوة من المشركين؟ (١)

وكلا الرأيين السابقين معتبر وله أدلته القوية، ولكني أذهب إلى ما اختاره ابن جرير الطبري من أن المقصود من ذلك كلمتاه اللتان تكلم بهما، مؤيدا هذا بسياق النص لسورة القصص وسورة النازعات، فلو نظرنا إلى قوله تعالى:" وَقَالَ فِرعَونُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلمَلَأُ مَا عَلِمتُ لَكُم مِّن إِلَٰهٍ غَيرِي" القصص:٣٨، وقوله تعالى:" فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ. ثُمَّ أَدبَرَ يَسعَىٰ. فَحَشَرَ فَنَادَى. فَقَالَ أنا رَبُّكُمُ ٱلأَعلَىٰ . فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلآخِرَةِ وَٱلأُولَىٰٓ . إن فِي ذَٰلِكَ لَعِبرَة لِّمَن يَخشَىٰٓ " النازعات: ٢٦ . ٢١ . أقول: لو نظرنا في هذا السياق، لوجدنا أن فرعون . لعنه الله ـ ادَّعى الألوهية في سورة القصص، ولم يكتف بذلك بل أضاف إليها بجهله ادعاء الربوبية، فآيات سورة النازعات تصور كيف أن فرعون تولى عن موسى، وسعى في جمع السحرة للمباراة بين السحر والحق، وقد أدبر يسعى في الكيد والمحاولة، فحشر السحرة والجماهير؛ ثم انطلقت منه الكلمة الوقحة المتطاولة، المليئة بالغرور والجهالة:"أنا ربكم الأعلى"(٢)، فكان عاقبة أمره خسرا. وكأن المعنى: فأخذه الله ونكل به جزاء مقولتيه: الآخرة منهما، أي الأخيرة، وهي قوله:" أنا رَبُّكُمُ ٱلأَعلَىٰ"، والأولى منهما، وهي قوله:" مَا عَلِمتُ لَكُم مِّن إِلَٰهٍ غَيرِي".

كما أن بعض المفسرين قد ردَّ . كذلك . على اختيار ابن كثير بمراعاة السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة؛ حيث تقدمت فيها الآخرة، مع أن تعذيب فرعون كان في الدنيا أوَّلًا، فلو كان المقصود

(١) انظر: في ظلال القرآن، للأستاذ: سيد قطب: مجلد "٧٩" ص:١٠،٩، منبر التوحيد والجهاد.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، مج:٧٩، ٩، ١٠.

بهما الدنيا والآخرة، لقدَّم الأولى على الآخرة.كما أنه لو كان المقصود بالأولى هي الدنيا، لذكرت أولا، كما ذكرت في قوله تعالى:" وَأَتبَعنَٰهُم فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنيَا لَعنَة وَيَومَ ٱلقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلمَقبُوحِينَ "القصص:٤٢، كما أن تعليل تقديم الآخرة على الأولى بأنه مراعاة للفاصلة، ليس على إطلاقه، فالفاصلة تابعة للمعنى، كما أن المعنى يأتي متكاملا معها، لا أن تأتي الفاصلة ليبرَّرَ المعنى من خلالها.

٢ . وفي قوله تعالى:" وَإِن لَنَا لَلأَخِرَةَ وَٱلأُولَىٰ" الليل:١٣، ذهب الإمام الطبري إلى أن معنى الآية: إن لنا ملك ما في الدنيا والآخرة، نعطي منهما من أردنا من خلقنا، ونحرمه من شيءنا، وإنما عنى بذلك . جل ثناؤه . أنه يوفِّق لطاعته من أحب من خلقه، فيكرمه بها في الدنيا، ويهيئ له الكرامة والثواب في الآخرة، ويخذل من شاء خذلانه من خلقه عن طاعته، فيهينه بمعصيته في الدنيا، ويخزيه بعقوبته عليها في الآخرة [١]، في حين أن الزمخشري وأبا حيان قصرا ثواب الدارين للمهتدي[٢].

ورأت د. عائشة بنت عبد الرحمن أن هذا القصر يمنعه العموم المستفاد من صريح السياق في البشرى والإنذار معا؛ لأن الله إليه المصير كما له المبتدأ، وهو . سبحانه . يهيئ لخلقه في الدنيا طريق الحق والهدى، وبقدر ما يستجيبون لداعي الهدى أو يصدون عنه، تكون النهاية والمصير إلى الخالق في الآخرة [٣].

كما ذهبت إلى أن تقديم الآخرة على الأولى ليس متعلقا برعاية الفاصلة، وإنما اقتضاه المعنى في سياق البشرى والإنذار؛ إذ الآخرة خير وأبقى، وعذابها أكبر وأشد وأخزى وأبقى، وأن الآخرة هي دار القرار. وكذلك قُدِمَت الآخرة على الأولى في سياق البشرى للمصطفى عليه السلام في آية

(١) انظر: تفسير الأمام الطبري ج٢٤/٤٧٦.

(٢) انظر: الكشاف :ج٦/٣٨٧، والبحر المحيط : ج٨/ ٤٧٨.

(٣) انظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة بنت عبد الرحمن: ج٢/١١٢ ، مكتبة الدراسات الأدبية"٢٥" ، الطبعة الخامسة، دار المعارف.

الضحى، كما قُدِمَت الآخرة على الأولى في سورة" النازعات" . كما رأت . في سياق الوعيد لفرعون؛ إذ أدبر وتولى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، وفي مثل هذا السياق من الوعيد تتقدم الآخرة على الأولى في آية الليل، متلوة بهذا النذير ،" فَأَنذَرتُكُم نَارا تَلَظَّىٰ" الليل:١٤[١].

وما ذكرته د. بنت الشاطئ لا يتوافق مع سياق نص الآية الكريمة"وإن لنا للآخرة والأولى"، ولو سرنا على نسقها وفقا لسياقها، لكان المعنى: فإن لنا التيسر للعسرى، وهي الآخرة، والتيسير للعسرى، وهي الأولى، فيكون المراد، فإن التيسير للعسرى يكون لمن بخل واستغنى، وكذب بالحسنى، والتيسير لليسرى لمن أعطى واتقى وصدق بالحسنى، وهذا المعنى يتوافق مع نص نبوي شريف مروي عن علي بن أبي طالب . رضي الله عنه . قال: كنا مع رسول الله . صلى الله عليه وسلم . في جنازة فقال:" ما منكم من أحد إلا وقد كُتِبَ مقعده من الجنة ومقعده من النار"، فقالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل؟ قال:" اعملوا، فكلٌّ ميسَّرٌ لما خلق له؛ أما من كان من أهل السعادة، فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء، فييسر لعمل أهل الشقاء، ثم قرأ:"فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى إلى قوله" للعسرى"[٢].

كما أن التقديم والتأخير مرتبط بما ورد أخيرا ثم بما ورد أولا، وهو شبيه بقوله تعالى:" يَومَ تَبيَضُّ وُجُوه وَتَسوَدُّ وُجُوه فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسوَدَّت وُجُوهُهُم أَكَفَرتُم بَعدَ إِيمَٰنِكُم فَذُوقُواْ ٱلعَذَابَ بِمَا كُنتُم تَكفُرُونَ . وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبيَضَّت وُجُوهُهُم فَفِي رَحمَةِ ٱللَّهِ هُم فِيهَا خَٰلِدُونَ"آل عمران:١٠٦، ١٠٧ .

أما قولها . رحمها الله . بأن التقديم للآخرة على الأول في النازعات إنما جاء للوعيد، فقد ذكرنا فيما سبق المقصود من الآخرة والأولى، وأرى أن التقديم، لشدة جرم فرعون . لعنه الله . في مقولتيه، خاصة الأخيرة منهما، وإن كانا جميعا شديدين، في ادعائه للألوهية، ثم لفرط جهله ادعى الربوبية، وهو هنا أعتى من كفار قريش، الذين أقروا لله بالربوبية، وأشركوا معه آلهة أخرى في

(١) انظر: التفسير البياني للقرآن الكريم: ج١١٢/٢.

(٢) الجامع الصحيح،للإمام البخاري:٤٩٤٥ وصحيح مسلم :٢٦٤٧.

العبادة والألوهية. أما التقديم في سياق البشرى في الضحى، فهذا لا يتعارض مع المقصود من الآية بأنه : النزلة الآخرة من الوحي والأولى منه . كما سيأتي ..

٣ . وفي قوله تعالى:" وَلَلۡأٓخِرَةُ خَير لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ " الضحى:٤، رأى الإمام ابن جرير الطبري أن المعنى في هذه الآية الكريمة: وللدار الآخرة، وما أعده الله لك فيها خير لك من الدار الدنيا، وما فيها، أي: فلا تحزن على ما فاتك منها، فإن الذي لك عند الله خير لك منها(١)، ويحتمل أن يريد حاليه في الدنيا قبل نزول هذه السورة وبعدها، فوعده الله . على هذا التأويل . بالنصر والظفر كما نقل ذلك أبو حيان في أحد قوليه (٢).

وذهبت د. عائشة بنت عبد الرحمن إلى أن المقصود من الآخرة في سورة الضحى هو: الغد المرجوّ، والدليل على ذلك مجيئها مع "لك" خاصة بالنبي محمد . صلى الله عليه وسلم . وقد أكد الله بهذا الخير الموعود نفيَ التوديع والقِلَى، ليذهبَ عن رسوله أثرُ فتور الوحي، وترى أن الصلة بين هذه الآية والآيات التي قبلها واضحة، وأنه لا داعي للتكلف(٣)، كما أن الآية التي بعدها" ولسوف يعطيك ربك فترضى " يتكامل فيها التجلي الإلهي على المصطفى، والمعنى: ما تركك فيما مضى، بل سيكمل لك العطية، ويعطيك حتى ترضى، وللآخرة خير لك من الأولى(٤).

ويوضح الشيخ الطاهر بن عاشور . رحمه الله . هذا المعنى باستفاضة قائلا: " فلما نُفي القِلَى بُشّر بأن آخرتَه خيرٌ من أولاه، وأن عاقبته أحسن من بدأته، وأن الله خاتمٌ له بأفضل مما قد أعطاه

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٢٤/ ٤٨٧، وانظر: الكشاف: ج٣٩١/٦.

(٢) انظر: البحر المحيط: ج ٨/ ٤٨١ ، وانظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ج٤٩٣،٤٩٤/٥، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب، العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠١م.

(٣) انظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة بنت عبد الرحمن: ج٣٦/١ ، ٣٧ مكتبة الدراسات الأدبية"٢٥" الطبعة الخامسة، دار المعارف

(٤) انظر: التفسير البياني للقرآن الكريم: ج٣٨/١ .

في الدنيا وفي الآخرة. وما في تعريف"الآخرة" و"الأولى" من التعميم يجعل معنى هذه الجملة في معنى التذييل الشامل لاستمرار الوحي وغير ذلك من الخير"[١].

ثم يضيف قائلا:" والآخرة: مؤنث الآخرِ، والأولى: مؤنث الأول، وغلب لفظ الآخرة في اصطلاح القرآن على الحياة الآخرة وعلى الدار الآخرة، كما غلب لفظ الأولى على حياة الناس التي قبل انخرام هذا العالم[٢]، فيجوز أن يكون المراد هنا من كلا اللفظين كِلا معنييه، فيفيد أن الحياة الآخرة خير له من هذه الحياة العاجلة تبشيراً له بالخيرات الأبدية، ويفيد أن حالاته تجري على الانتقال من حالة إلى أحسن منها، فيكون تأنيث الوصفين جارياً على حالتي التغليب وحالتي التوصيف، ويكون التأنيث في هذا المعنى الثاني لمراعاة معنى الحالة. ويومئ ذلك إلى أن عودة نزول الوحي عليه هذه المرة خير من العودة التي سبقت، أي تكفَّل الله بأن لا ينقطع عنه نزول الوحي من بعد. فاللام في "الآخرة" و"الأولى" لام الجنس، أي: كُلّ آجل أمره هو خير من عاجله في هذه الدنيا وفي الأخرى[٣]. واللام في قوله:" لك" لام الاختصاص، أي خير مختص بك وهو شامل لكل ما له تعلق بنفس النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ذاته وفي دِينه وفي أمته، فهذا وعد من الله بأن ينشر دين الإسلام، وأن يمكِّن أمته من الخيرات التي يأملها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهم " [٤].

ونلحظ مما ذكر من عبارة الشيخ السابقة أن المقصود بالآخرة والأولى هو: أن النزلة الآخرة من الوحي خير من النزلة الأولى منه، كما أن كُلَّ آجل أمره ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو خير له

(١) التحرير والتنوير: ج٣٠/٣٩٧.

(٢) والباحث يوافقه على عبارة غلبة استعمال الآخرة في القرآن الكريم على الحياة الآخرة وعلى الدار الآخرة، ولكن ـ كما اتضح من خلال هذا البحث ـ أن لفظ الأولى لم يغلب استعماله على حياة الناس قبل انخرام هذا العالم، أي: لا يطلق على الحياة الدنيا، بل يتحدد المراد منه ـ كما وضَّح البحث ـ وفقا لسياقه الوارد فيه.

(٣) الآخرة أكثر موافقة للسياق.

(٤) التحرير والتنوير: ج٣٠/٣٩٧.

من عاجله في هذه الدنيا وفي الآخرة.

وهذا ما يوافق عليه الباحث، خاصة إذا علمنا أن الوحي قد انقطع عنه، وكان سبب نزول آيات الضحى لهذا السبب، مهدئا من روع النبي، ومطمئنا لقبه، ورادًّا على من ادَّعى أن الله قد قلى رسوله[١]. أي أن هذا الاختيار يتوافق مع سياق الآيات من ناحية، ويأتي موافقا . من ناحية أخرى . لسبب نزول الآيات الذي يعد كاشفا للمعنى المقصود من الآية الكريمة، ومهيئا له[٢].

٤ . وفي قوله تعالى:" فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ" النجم:٢٥، أي: فلله ما في الدار الآخرة والأولى، وهي الدنيا، يعطي من يشاء من خلقه ما شاء، ويحرم من يشاء منهم ما شاء[٣].

وقد ورد تفسير " أم للإنسان ماتمنى" عند الإمام الطبري بأنه محمد . صلى الله عليه وسلم . الذي اشتهى ما أعطاه الله من الكرامة التي أكرمه بها من النبوة والرسالة وأنزال الوحي عليه، وتمنى ذلك؛ فأعطاه إياه ربه؛ لأن له ما في الدار الآخرة والدنيا. وجعل الزمخشري "أم" الواردة في الآية هي: المنقطعة، والهمزة للإنكار، فيكون المعنى: أي ليس للإنسان ما تمنى، والمراد طمعهم في شفاعة الآلهة، وهو تمنٍ على الله في غاية البعد، وقيل: قول الوليد بن المغيرة:" وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا"مريم:٧٧،وقيل: هو قولهم:" وَلَئِن رُّجِعتُ إِلَىٰ رَبِّيَ أن لِي عِندَهُ لَلحُسنَىٰ" فصلت:٥٠، وقيل: تمنى بعضهم أن يكون هو النبي، فقال لهم الله: فلله الآخرة والأولى، أي هو مالكهما، فهو يعطي منهما من يشاء، ويمنع من يشاء، وليس لأحد أن يتحكم عليه في شيء منهما[٤].

هذا، وقد ذكر الفخر الرازي في تفسير الآية الكريمة خمسة أقوال، متخذا من سياق الآيات منحى في تفسيره وتعليله، ومن ذلك:

(١) انظر الأقوال الواردة في سبب نزول سورة الضحى: الدر المنثور: ج١٥/٤٨٠ .٤٨٣ .

(٢) انظر: في سبب نزول هذه السورة تفسير:

(٣) انظر: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٢٢/٥٦.

(٤) انظر: الكشاف، للزمخشري:ج٥/٦٤٤.

أ . أول هذه الأقوال يورد فيه أنه من اتخذ شفعاء مع الله لا تغني شفاعتهم شيئا، أي أن عقابهم يقع، فمن اختار معبودا غير الله، فلله الآخرة والأولى: يعاقبه على فعله في الدنيا، وإلا عاقبه في الآخرة.

ب . أن الله تعالى بيَّن لهم أن اتخاذ الآلهة المزعومة من اللات والعزى ومناة، إنما هو من اتباع الظن وهوى الأنفس؛ فعليكم الإقرار بذلك، وأن لم تعلموا هذا، فكونوا على يقين أن لله الآخرة والأولى، وهذه الأصنام ليس لها من الأمر شيء، فكيف يجوز الإشراك؟!

ونلحظ في هذين القولين . وإن كان معنى الآية عاما . أن الكلام موجه لمن اتخذ شركاء مع الله، فليخافوا من عقاب الله في الدنيا والآخرة، وليعلموا يقينا أن آلهتهم المزعومة لا تملك شيئا؛ إذ الدنيا والآخرة لله سبحانه.

ج . يرى الرازي . وهذا هو رأيه الثالث . أن هذه الآية تسلية من الله لنبيه؛ حيث بيَّن النبي رسالته للناس ووحدانية الله لهم، ومع ذلك لم يؤمنوا، فقال له: لا تيأس؛ فلله الآخرة والأولى، أي: لا يعجزون الله لا في الدنيا ولا في الآخرة.

د . يستند الرازي في اختياره الرابع إلى سياق الآيات السابقة عن هذه الآية الكريمة، فهو يبين أن الله . سبحانه . بيَّن رسالة نبيه . صلى الله عليه وسلم . بقوله: إن هو إلا وحي يوحى... وبيَّن بعض ما جاء به، وهو التوحيد، فقال لهم: إذا علمتم صدقه في بيان الرسالة، فاعلموا أن لله الآخرة والأولى؛ لأنه . صلى الله عليه وسلم . أخبركم عن الحشر، فهو صادق فيما أخبركم.

والرأي الثالث والرابع يلتقيان في أن رسالة النبي محمد . صلى الله عليه وسلم . جاءت لإثبات الوحدانية، مع أن الكفار علموا صدقه، إلا أنهم لم يؤمنوا، فقال الله لنبيه: لا تيأس، فلله الآخرة والأولى، وقال للكفار: تيقنوا أن لله الآخرة والأولى، وأن ما أخبركم به النبي صدقٌ وحقٌّ.

هـ . أن الكفار كانوا يقولون للمؤمنين: أهؤلاء أهدى منا؟ وقالوا: لو كان خيرا ما سبقونا إليه، فقال الله تعالى: إن الله اختار لكم الدنيا، وأعطاكم الأموال، ولم يعط المؤمنين بعض ذلك الأمر، بل قلتم: لو شاء الله لأغناهم، وتحققت هذه القضية" فلله الآخرة والأولى" قولوا في الآخرة ما قلتم في

الدنيا: يهدي الله من يشاء، كما يغني الله من يشاء[١]. وهذا الرأي خارج عن سياق نص الآية الكريمة، وهو حوار افتراضي من الرازي بين الكفار والمؤمنين، ليس في سياق الآيات ما يدلُّ عليه.

والراجح وفقا لسياق آيات سورة النجم، أن النبي . صلى الله عليه وسلم . قد رأى جبريل . عليه السلام . على هيئته مرتين، ولقد ورد في قوله تعالى:" وَلَقَد رَءَاهُ نَزلَةً أُخرَىٰ "النجم:١٣ أن المقصود من ذلك، كما ذكر بعض المفسرين، هو جبريل . عليه السلام . [٢]، ثم توالت الآيات موضحة ما أنعم الله به على نبيه من رؤية الآيات الكبرى، ناعيةً على كفار قريش وغيرهم ممن اتخذوا آلهة مع الله، وزاعمين أن الملائكة إناث، رادّا عليهم، ومبينا لهم أن الملائكة عباد الله، ثم تعود فتذكر" أم للإنسان ما تمنى"، وقد ذكر بعض المفسرين أن المقصود من الإنسان هنا هو الرسول الذي كان يتمنى أن يرى جبريل مرة فمرة، ولقد رآه مرة أخرى، فقال الله له:" فلله الآخرة والأولى"، أي . والعلم عند الله تعالى . ما أعظم رؤيتك لجبريل في الأولى والآخرة، وهذا شبيه بقولنا: لله أنت!! وعلى هذا فالمعنى: ما أعظم هذه الرؤية من النبي . صلى الله عليه وسلم . لجبريل . عليه السلام . في الحالتين!!

٥ . وفي قوله تعالى:" وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلحَمدُ فِي ٱلأُولَىٰ وَٱلأٓخِرَةِ وَلَهُ ٱلحُكمُ وَإِليه تُرجَعُونَ " القصص:٧٠، ومعنى الآيات أن الله هو المنفرد بالإلهية، فلا معبود سواه، كما لا رب يخلق ويختار سواه، وهو المحمود في جميع ما يفعله، لعدله وحكمته، ولا معقب لحكمه، لقهره وغلبته وحكمته ورحمته، كما أننا جميعا راجعون إليه يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله، من خير وشر، ولا يخفى عليه خافية في سائر الأعمال[٣]. وذهب أكثر المفسرين إلى أن المقصود بالأولى والآخرة

(١) انظر: تفسير الفخر الرازي: ج ٣٠٢/٢٨ . ٣٠٣ .

(٢) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ج٢٤/١٤.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم : لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، ج:٢٥١/٦، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

هو: الدنيا والآخرة[١]، فيكون المعنى: أن أولياءه يحمدونه في الدنيا، كما يحمدونه في الآخرة في الجنة [٢]، فإن قيل الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الآخرة ؟ أجيب: بأنهم يحمدونه بقولهم:" وَقَالُواْ ٱلحَمدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذهَبَ عَنَّا ٱلحَزَنَ" فاطر:٣٤، وهو ما ورد في قوله تعالى : " وَقَالُواْ ٱلحَمدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعدَهُۥ" الزمر: ٧٤، وقوله تعالى : "وَءَاخِرُ دَعوَىٰهُم أن ٱلحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلعَٰلَمِينَ" يونس :١٠ [٣].

وأورد بعضهم قولا آخر في تفسير الأولى والآخرة، بأنه مقصود بهما: الأرض والسماء[٤].

ولنا تعقيب على ما قيل يمكن أن نلخصه في أننا لو نظرنا إلى الآيتين اللتين تسبقان هذه الآية لوجدنا قوله سبحانه:" وَرَبُّكَ يَخلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَختَارُ مَا كَان لَهُمُ ٱلخِيَرَةُ سُبحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشرِكُونَ . وَرَبُّكَ يَعلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُم وَمَا يُعلِنُونَ " القصص:٦٨، ٦٩.

وإذا أردنا أن نبحث عن تفسير للفظي" الأولى والآخرة" في الآية لوجدنا قبلها: الخلق والاختيار، فله سبحانه الحمد فيهما، فيكون المعنى: فلله الحمد في الخلق والاختيار، وله الحكم، وكل الخلق راجعٌ إليه. أما القول بأن المقصود بهما الدنيا والآخرة، من صرف الأولى إلى الدنيا، فقد جاء من مجاورة الأولى للآخرة. أما القول بأن المعنى: الأرض والسماء، فهذا لا يسير مع

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري،ج٣٠٤/١٨

(٢) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل(تفسير الخازن)، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ج:١٨٠/٥، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ . ١٩٧٩ م.

(٣) انظر: تفسير السراج المنير، لشمس الدين محمد بن أحمد الشربيني، ج١٦١/٣، دار الكتب العلمية . بيروت، دون تاريخ.

(٤) انظر: تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني: ج: ١٥٣/٤، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن – الرياض، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م

سياق نص الآية الكريمة، كما أننا لا نعرف أن الأولى تطلق على الأرض، وأن الآخرة تطلق على السماء.

خاتمة البحث

١. يمكن أن نفيد من هذا البحث وننسج على منواله، ونسعى جاهدين في صناعة معجم موسوعي يقوم على تتبع ألفاظ القرآن جميعها، مستفيدا مما سبق، مضيفا إليها ما نقص منها، متخذا طريقة سهلة البحث، معتمدا على كتب المفسرين والأشباه والنظائر وكذلك كتب مفردات القرآن الكريم، سائرا على منهجية الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي . رحمه الله . في التتبع للآيات وطريقة إيرادها، مضيفا إليه وسائل العلم الحديث في الإحصاء. أسأل الله أن يعيننا على ذلك فيما يستجد من أعمال خدمةً للقرآن الكريم ولغته.

٢ . ورد لفظ" الأولى" في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، وتعدد المقصود منه وفقا لما يصفه من ألفاظ في بعض الآيات، ووفقا لما يقارنه من لفظ" الآخرة" في آيات أخر.

٣. ورد لفظ "الدنيا" في القرآن الكريم مائة وخمس عشرة مرة، وجاء دالا على الحياة التي نعيشها قبل الموت في آيات القرآن الكريم التي ورد فيها، سواء أكان مفردا، وقد ورد ستا وثلاثين مرة، أو مضافا إليه، وقد ورد ثماني مرات، أو صفة لما قبله، وقد ورد إحدى وسبعين مرة. وما عدا هذه المرات فقد جاء مفارقا لهذه الدلالة في بعض الآيات، عندما جاء صفة لاسم سابق، مثل "السماء"، ويراد به معنى: الأقرب، وقد ورد في ثلاث آيات من القرآن الكريم، في سور: الصافات:٦، وفصلت:١٢، والملك:٥. وجاء في موضع رابع صفة للعدوة، مضادا لكمة " القصوى"، ومحددا لموقع جغرافي وقعت فيه أحداث غزوة "بدر الكبرى".

٤ . ورد لفظ"الآخرة" في القرآن الكريم مائة وخمس عشرة مرة، وغلب استعمال لفظ الآخرة في اصطلاح القرآن الكريم على الحياة الآخرة، وعلى الدار الآخرة، سواء أكأن مفردا، وقد ورد ستا وثمانين مرة، أم مضافا إليه، وقد ورد عشرين مرة، أم صفة لما قبله، وقد ورد تسع مرات.

٥ . قد جاء لفظ "الآخرة" مفارقا لمعنى" الدار الآخرة" في بعض الآيات التي تتبعها الباحث، وعرض أقوال المفسرين فيها، ومن ذلك سورة الإسراء:٧، حيث اتضح أن المراد من وعد الآخرة، المرة الأخيرة في إفساد بني إسرائيل وعلوهم، وفي الإسراء: ١٠٤، كان المقصود بها قرب قيام الساعة. وكما في الملة الآخرة، والتي تعني: الملة الأخيرة، وهي ملة عيسى عليه السلام، التي وردت في سورة ص:٧.

٦ . جاء لفظ "الأولى" مقترنا بلفظ " الآخرة" في بعض الآيات، وذلك نحو ما جاء في سورة النازعات:٢٥، مرادا بهما الكلمتان العظيمتان اللتان تكلم بهما فرعون في قوله:" ما علمت لكم من إله غيري"، و قوله:" أنا ربكم الأعلى".

أما في سورة الليل:١٣، فإن المعنى المراد . والله أعلم . أن لنا التيسر للعسرى، وهي الآخرة، والتيسير للعسرى، وهي الأولى، فيكون المراد، فإن التيسير للعسرى يكون لمن بخل واستغنى، وكذب بالحسنى، والتيسير لليسرى لمن أعطى واتقى وصدق بالحسنى، وهذا المعنى يتوافق مع سياق الآية نفسها، وسياق نص خارجي من حديث نبوي شريف.

أما في سورة الضحى: ٤، فأن المعنى الراجح أن النزلة الآخرة من الوحي لرسول الله . صلى الله عليه وسلم . خير له من الأولى منه، ويتبع ذلك أن غده بعد نزول الوحي خير له مما قبل النزول، وهنا يتجلى تكامل سياق النص مع سبب النزول، الذي يعد معينا على هذا التفسير، ومساعدا عليه.

أما في سورة النجم:٢٥، فالمعنى . كما يساعد على ذلك سياق النص . أنه ما أعظم رؤيتك لجبريل في الأولى والآخرة، وهذا شبيه بقولنا: لله أنت!! وعلى هذا فالمعنى: ما أعظم هذه الرؤية من النبي . صلى الله عليه وسلم . لجبريل . عليه السلام . في الحالتين!!

أما في سورة القصص:٧٠، فإن المعنى المقصود من الأولى والآخرة فيها وفقا لسياق نص الآية السابقة عليها: فلله الحمد في الخلق والاختيار.

٧ . تبين لنا من هذا البحث أهمية سياق النص . سواء في الآية نفسها، أو من آية أخرى . في توضيح معنى الآية والمراد منها، ودوره . كذلك . في توضيح الآيات، واتضح هذا الدور في تفسير المراد من الصحف الأولى في طه:١٣٣، والأعلى:١٨؛ حيث جاء بيان ذلك في سورة الأعلى: ١٩، كما جاء بيان الأولى والآخرة من سورة القصص: ٧٠، من خلال آية القصص نفسها:٦٨، كما تضافرت سورة النازعات:٢٥، مع سورة القصص:٣٨ في توضيح المقصود من " نكال الآخرة والأولى"الواردة في النازعات:٢٥.

٨ . يعد سبب النزول وكذلك السنة النبوية المطهرة مصدران مهمان في تفسير آيات القرآن الكريم، واتضح هذا الدور من خلال هذا البحث في توضيح المراد من سورة الضحى:٤، وسورة إبراهيم:٢٧.

المصادر والمراجع

١ – الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، لمقاتل بن سليمان البلخي، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الله شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ . ١٩٩٤م.

٢ – الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم، دراسة إحصائية، الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الأولى ،١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٣ م.

٣ – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ

٤ – البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ .١٩٩٣م.

٥ – التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس،١٩٨٤م.

٦ . التفسير البياني للقرآن الكريم، الدكتورة عائشة بنت عبد الرحمن، مكتبة الدراسات الأدبية"٢٥"، الطبعة الخامسة، دار المعارف، دون تاريخ.

٧ – تفسير السراج المنير، لشمس الدين محمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٨ – تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس ابن غنيم، دار الوطن – الرياض، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م

٩ – تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق مصطفى السيد وآخرين، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ .٢٠٠٠م. وطبعة أخرى بتحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

١٠ – التفسير الكبير ومفاتيح الغيب(تفسير الفخر الرازي)، لمحمد فخر الدين الرازي، دار الفكر، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ .١٩٨١ م.

١١ – جامع البيان عن تأويل آي القرآن(تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ .٢٠٠١م.

١٢ – الجامع الصحيح، للإمام البخاري، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٨ هـ.

١٣– الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦ م.

١٤ – حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت.

١٥ – دراسة نقدية في كتب الوجوه والنظائر، لـ: سيد محمد رضا، وأمين صالح معصومي، آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، السنة الخامسة عشر، العدد الأول، ١٤٣٣ هـ.

١٦ – الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط١، ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣م.

١٧ – صحيح مسلم، تحقيق وتعليق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي بمصر،١٩٥٥م.

١٨ – علم الدلالة، الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

١٩ – في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب: مجلد "٧٩" منبر التوحيد والجهاد، بدون تاريخ.

٢٠ – قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، للفقيه المفسر الجامع الحسين بن محمد الدامغاني، حققه ورتبه وأكمله وأصلحه: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، ١٩٨٥م.

٢١ – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله الزمخشري، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٨م.

٢٢ – لباب التأويل في معاني التنزيل(تفسير الخازن)، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ -١٩٧٩ م.

٢٣ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠١م

٢٤ – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠١م.

٢٥ – نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤ م